الجذور الطبقية للحركة الصهيونية

لطف الله حيدر

« حين يعمد المرء الى تحليل قضية اجتماعية أيا كانت ، توجب عليه النظرية الماركسية اطلاقا ان يضع تلك القضية في نطاق تاريخي معين ، كما تشترط عليه ايضا ، اذا كان الموضوع يدور حول بلد بمفرده ، أن يأخذ بعين الاعتبار الخصائص الملموسة التي تميز هذا البلد عن سواه ، في حدود حقبة تاريخية واحدة معينة»(١).

ف. أ. لينين

هذا الشرط الاساسي والصحيح لفهم أية قضية تاريخية*، يعني ضرورة التمييز بين العصور والمجتمعات المختلفة والمتطورة منذ انهيار العصر الاقطاعي وحتى بلوغ الرأسمالية مرحلة الامبريالية ، مرورا بظهور طبقة البورجوازية والانتاج البضاعي والثورة الصناعية ، وتشكل الدول القومية ، ثم مرحلة الاستعمار ، فالامبريالية ، وما رافق هذا التطور من حركات سياسية واجتماعية توجب النظرة الموضوعية والعلمية وضعها ودراستها ضمن الاطار التاريخي ، الاجتماعي والاقتصادي ، الذي نشأت وتشكلت ونمت خلاله هذه الحركة او تلك ، ذلك لان جملة الظروف الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية لمجتمع ما في حقبة تاريخية معينة هي التي تتشكل ضمن اطارها وتنمو وفق قوانين تطورها الموضوعية أية حركة سياسية او اجتماعية ترتبط حكما بقضايا العصر والمجتمع اللذين تنمو في اطاريهما .

والحركة الصهيونية ، بالتأكيد ، ليست ، ولا يمكن ان تكون ، استثناء لهذا القانون التاريخي الثابت والصحيح . ولذا فان الاحاطة ، ولو بشكل سريع وعام ، بأوضاع القارة الاوروبية في منتصف القرن التاسع عشر ، أي المكان والزمان والمجتمع ، الذين اعطوا الحركة الصهيونية أسسها ومولدها ونموها ، هذه الاحاطة تقودنا الى فهم صحيح للجذور الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية ، التي ادت الى تشكل هذه الحركة . وبالتالي فان فهم الحركة الصهيونية علميا وتفسيرها واقعيا يستلزم بالضرورة توفر شرطين أساسيين : ١ ــ وضعها ضمن اطار الظروف التاريخية ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتأثيرات القوى المختلفة للطبقات البائدة والطبقات الصاعدة ، وتفاعلات القوى الاجتماعية في العصر الذي نشأت فيه الحركة . ٢ ــ تطبيق المنهج المادي التاريخي على اسس وظروف وارتباطات نشوء ونمو هذه الحركة بعيدا عن أية اعتبارات دينية ميتافيزيكية او فكرية مثالية وطوباوية .

ظهرت الحركة الصهيونية في اوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، بعيدا

---

* يتضمن هذا البحث الموجز والمكثف ، الافكار الرئيسية والخطوط العريضة لاطروحة دكتوراه عن الحركة الصهيونية ، يزمع المؤلف التقدم بها الى جامعة موسكو .